المجلة العراقية للبحوث الإنسانية والإجتماعية والعلمية
Iraqi Journal of Humanitarian, Social and Scientific Research
Print ISSN 2710-0952 - Electronic ISSN 2790-1254
العدد11A 2023 كانون الاول
No. 11A December 2023

الأوصاف المعرَّفة وأثرها في توليد الافتراض المسبق (نوادر بخلاء الجاحظ أنموذجاً)

م. د. عذراء سعيد عبد
المديرية العامة لتربية القادسية
Athraasaeed62@gmail.com

ملخص

إنّ الموضوعات الحديثة كالافتراض المسبق وكيف يتولّد كان لها الصدى الكبير عند القدماء بآلياته وإجراءاته ولا نقول ذلك إقحاماً منّا، أو ليّاً لعنق النصوص لتُخرج لنا مداليل تناسب الدرس الحديث، بل وجدناها إجراء وممارسة في كتب القدماء، وقد كان كتاب (الافتراض المسبق بين اللسانيات الحديثة والمباحث اللغوية في التراث العربي والإسلامي) للباحث (هشام إبراهيم عبد الله خليفة) الفضل في إيقاد فكرة الموضوع لديّ، فشرعت أفتش عن متن أجد فيه ضالتي فآنست ذلك في كتاب البخلاء للجاحظ، وقد وجدت فيه خير قبس، وقد كان اختياري للنصوص -كما الجاحظ- لا يخضع لمنهج معين وإنّما هو انتقاء قائم على تخيّر النوادر التي فيها طُرفة أو موعظة أو حكمة أو صفة اجتماعية، وقد كان التحليل على وفق آليات استعمالية تداولية؛ إذ لولا الاستعمال لما استطعنا الوصول إلى مداليل الخطاب.

كلمات مفتاحية ، الافتراض المسبق ، بخلاء الجاحظ

Defined descriptions and their impact on the generation of presumption (We would like to make the lucky one a model)

Dr. Athraa Saeed Abd
General Directorate of Education in Al-Qadisiyah

Abstract

Modern topics, such as presupposition and how it is generated, had a great resonance in the ancients with its mechanisms and procedures, and we do not say that out of interference on our part, or twisted the texts to produce for us indications that fit the modern lesson. Rather, we found it as a procedure and practice in the books of the ancients, and the book *Presupposition between Modern Linguistics and Linguistic investigations in the Arab and Islamic Heritage* by the researcher (Hisham Ibrahim Abdullah Khalifa) was credited with sparking the idea of the topic in me, and I began to search for a text in which I could find what I was looking for, so I found it in the book *Al-Bakhala* by Al-Jahiz, and I found in it the best source, and my choice of texts was not subject to a particular approach, but rather a selection based on selecting anecdotes that contain anecdote, a sermon, wisdom, or a social characteristic and the analysis was based according to deliberative usage of mechanisms. If it were not for use, we would not be able to reach the meanings of the discourse.

OpenWords, Presumption, With Hedgehog Clearance

بين يدي الكتاب :

يندرج الكتاب تحت كتب النوادر، بلحاظ قول الجاحظ : **"وقلتُ اذكر لي نوادر البخلاء واحتجاج الأشحّاء وما يجوز ذلك في باب الهزل وما يجوز منه في باب الجدّ..."**[1]، وتُعرّف نادرة البخلاء الباحثة فدوى مالطي دوجلاس بقولها: "وحدة سردية مستقلة تنطوي على فعل أو حدث يكشف عن خاصية البخل

(1) البخلاء ، الجاحظ، تح: غريد الشيخ مقدمة الجاحظ : 9.

عند شخص أو مجموعة من الأشخاص أو جماعة أو فئة من الناس قد يكون لها وجود تاريخي وتجمع بينها خاصية البخل"[1].

ومن جهة تنظيم الكتاب، فلم يتخذ الجاحظ منهجاً معيناً في إيراد قصص البخلاء، والجامع بين خبر وآخر هو ثيمة البخل ولا يعود ذلك إلى بدائية التأليف فالناظر في كتبه يجدها تكشف عن وعي عميق لآليات التأليف وسمة التشابك في عرض قصص البخيل قد يعود إلى منهج خاص بالجاحظ، وقد تأثر به غيره كأبي حيان التوحيدي في كتاب البصائر والذخائر[2].

وقد اختلفت أنواع النوادر وصُنفت كثيراً من قِبل الباحثين وقد وصفت النادرة على يد أحد الباحثين بأنّها كالقصة القصيرة لما فيها من "حدث وشخصيات تتصارع، وفيها تحديد للزمان والمكان، وفيها عنصر التشويق الذي يشدّ القارئ من بداية القصة حتى تتكشف الأمور، وفيها يسلّط الجاحظ الضوء على الحدث الذي ينمو حتى يصل الذروة... وأخيراً نصل إلى نهاية القصة أو لحظة التنوير... بمعنى آخر كان في القصة بداية ووسط ونهاية والحدث فيها مرتبط بحبكة فنية متقنة"[3].

أما معايير تصنيف نوادر الجاحظ ، فقد اختلفت باختلاف المؤلفين والمناهج التي تناولوا فيها تلك النوادر وقد تنوعت كالآتي[4]:

1- تصنيف بحسب الوظائف والأنساق بمفهومها البنيوي، وهي: (نادرة الشيء، نادرة الكرم، نادرة البخيل الضحية، نادرة الأداة الضحية، نادرة الجماعة، نادرة الوعظ[5].

2- تصنيف بحسب علاقة الكاتب بشخصيات نوادره، وهو معيار يقوم على أصناف كبرى أكثر تأليفاً وأقل تفصيلاً كـ(نادرة الاقتصاد وهي خاصة باستعمال الشيء بطريقة غريبة لأجل التوفير، ونادرة الضيافة؛ إذ ينجح البخيل بانتحال صفة الكريم فيقوم بالتحايل، ونادرة البخيل المريض للاستيلاء على الممتلكات وفرض الضيافة ثمّ التعبير عن الإخفاق في منع الإساءة حد المرض)[6].

3- تصنيف يربط الكاتب بشخصياته وهي: (شخصيات تدخر المال تجنباً للهلاك ويقف معها الجاحظ موقف تعاطف، وأخرى ذات سلوك مقبول صادر عن تظرف وجهل يقف معها الجاحظ موقف التندر، وشخصيات سلوكها غير مقبول لكن الجاحظ يراها قابلة للتهذيب ، وشخصيات ذات سلوك ممقوت لا ينفع معها إصلاح ويسخط عليها الجاحظ حدّ اليأس) [7] .

4- معيار علاقتها بتوقعات المتلقي.

5- معيار الموضوعات والمضامين.

6- معيار التداخل مع أجناس غير سردية .

أمّا المعيار الذي تتبناه الباحثة هو مجموع المعايير التي وضعها عبد الفتاح كيليطو، لأنّها مستقاة من كلام الجاحظ ومقدمته، فضلاً عن عنايتها بملامح الخطاب وهدفه وغايته، وقد وضع التصنيف على أساس العلاقة التي بين النادرة وهوية الشخص التي تحركه[8]:

1- النادرة المعتمة: التي ليس فيها "دليل على أربابها ولا هي مفيدة أصحابها"[9]، ولا يجد الجاحظ حرجاً في نقلها لأنّه حتى لو عُرف أصحابها فلا سبيل إلى بلوغهم فهي منغلقة على نفسها وعلى علاقتها بعناصرها ولا يخفي الجاحظ أسفه على وجود هذا النوع من النوادر في كتابه، فيقول: **"وليس يتوفر أبداً**

(1) بنائيات البخل في نوادر البخلاء ، فدوى مالطي دوجلاس، مجلة فصول، ع3، 1993: ص65.
(2) يُنظر: التصوير والحجاج، نحو فهم تاريخي لبلاغة نثر الجاحظ ، محمد مشبال، مجلة عالم الفكر ، ع3، مج40: ص157.
(3) فنية القصة في كتاب البخلاء للجاحظ ، ضياء الصديقي، مجلة عالم الفكر، مج20، ع4، 1990: ص169، ويُنظر: التصوير والحجاج، نحو فهم تاريخي لبلاغة نثر الجاحظ: 174-175.
(4) التصوير والحجاج، نحو فهم تاريخي لبلاغة نثر الجاحظ: 174-176.
(5) يُنظر: بنائيات البخل في نوادر البخلاء ، فدوى مالطي دوجلاس، مجلة فصول، ع3، 1993، و التصوير والحجاج، نحو فهم تاريخي لبلاغة نثر الجاحظ: 174-175.
(6) التصوير والحجاج، نحو فهم تاريخي لبلاغة نثر الجاحظ: 175-176.
(7) المصدر نفسه: 176
(8) يُنظر: الكتابة والتناسخ، مفهوم المؤلف في الثقافة العربية، عبد الفتاح كيليطو، تر: عبد السلام بنعبد العالي: 70-75.
(9) البخلاء، مقدمة الجاحظ 17.

حسنها إلّا بأن تعرف أهلها، وحتى تتصل بمستحقها وبمعادنها واللائقين بها، وفي قَطْع ما بينها وبين عناصرها ومعانيها سقوط نصف المُلحة وذهابُ شطر النادرة"[1].

2- **النادرة الشفافة**: وهذه تتعلق بأوصاف معرّفة عند القارئ والمؤلف وتكشف عن هوية الشخصية حتى وإن كانت تحت اسم زائف، فيقول الجاحظ : **"لأنّ ها هنا أحاديث كثيرةً متى أطلعنا منها حرفاً عُرِف أصحابها، وإن لم نُسمّهم ولم نُرد ذلك بهم، وسواء سميناهم أو ذكرنا ما يدلّ على أسمائهم، منهم الصّديق، والوليُ والمستور والمتجمّل وليس يفي حسنُ الفائدة لكم بقبح الجناية عليهم، فهذا باب يسقط البتّة ويختلُّ به الكتاب لا محالة وهو أكثرها باباً وأعجبُها منك موقعاً"**[2].

وتتميز هذه النادرة بقدرتها على الإحالة، فلا تُخطئ مهما احتاط المؤلف، فتحيل إلى اسم سرعان ما يخطر ببال المتلقي من الأفعال والأقوال التي تعد أرضية مشتركة بينه وبين المتكلم، فيتوقع المتلقي أنّ هذا الفعل لا يصدر من غير هذا الشخص، والتعرّف على الوصف المعرف يزيد من حدة مفعول النادرة التي تفتح المجال الواسع لينتفع المتلقي ويقتنع، فضلاً عن فتح أفق التفكير لديه ليستذكر نوادر مماثلة للشخص نفسه[3].

3- **النادرة النموذجية**: تدور حول شخصية أصبح اسمها علامة على صفة أخلاقية أو جمالية أو شخصية اشتهرت بالغباء والكرم والبخل، فتُنسب إليها أقوال توسع من مجال فاعليتها، وتُوصف بأنّ لها جاذبية كثيرة، فهي تحتضن كل ما يقع في حدود مجالها، وبما أنّها معروفة لدى المتكلم والمخاطب فهي لا تطلب ذكر تفصيلات في أوصافها، والاسم الذي تُشير إليه في إشارة إلى معهودات يسهل التعرّف عليها، وشأنها شأن الشفافة تنفتح على سلسلة من الحكايات التي تظهر فيها الشخصية نفسها.

- **التلقي عند الجاحظ بلحاظ الأوصاف المعرّفة وأثرها في توليد الافتراض المسبق :**

للأوصاف المعرفة وظيفة إحالية فنستطيع أن نُحيل إلى موضوع من دون أن نقول عنه شيئاً ومن دون أن نصف أي مظهر من مظاهره وهذه الفكرة من إجابات جون ستيورات مل عندما سُئل عن إمكانية تأدية اسم العلم والأوصاف المعرّفة لوظيفة الإحالة[4]. فالأوصاف المعرّفة تُحيل من دون أن تدلّ ولها مرجع وإحالة من دون أن تكون لها دلالة[5].

للوصف المعرّف قوة سحرية تتحكم في موقف المتلقي عندما يتعلق الأمر باسم ما، فإنّ المداليل التي ترتبط به ستطفو على السطح، ويرتسم أفق المعهودات الذهنية، ويقوم بحصر الانتباه ومنع ترشيح مداليل أخرى، مع خلق جو من الاقتناع والتقبل لمحتوى النادرة، بغض النظر عن طريقة تقبلها، بحفاوة وقبول أم ببرودة وبخسٍ لقيمة للنادرة[6]، فيرى الجاحظ أنّ للوصف المعرّف أهمية في التلقي وتأويل الملفوظات، فمثلاً كلام الوعظ لا يمكن التفاعل معه إذا صدر عن شخص ماجن، فيقول: **"وكما أنّك لو ولّدت كلاماً في الزهد وموعظة الناس، ثمّ قلتَ: هذا من كلام بكر بن عبد الله المُزني، وعامر بن عبد القيس العنبريّ، ومؤرّق العِجلي ويزيد الرقاشي لتضاعف حسنه، ولأحدث ذلك النسب نضارة ورفعة لم تكن له، ولو قلتَ: قالها أبو كعب الصُّوفيّ أو عبد المؤمن أو أبو نوّاس الشاعر أو حسين الخليع لما كان لها إلّا ما لها في نفسها، وبالحَرى أن تغلط في مقدارها فتبخس حقها"**[7].

فالأسماء الواردة في نص الجاحظ لها الأثر في تقبّل المتلقي لثيمة النص من عدمها، لأنّ الحديث عن الوعظ يتطلّب أناساً لهم باع طويل في الزهد وموعظة الناس كأمثال المُزني " الإِمَامُ، القُدْوَةُ، الوَاعِظُ، الحُجَّةُ، أَبُو عَبْدِ اللهِ المُزَنِيُّ، البَصْرِيُّ، أَحَدُ الأَعْلاَمِ، يُذْكَرُ مَعَ الحَسَنِ، وَابْنِ سِيْرِيْنَ... كَانَ بَكْرٌ المُزَنِيُّ ثِقَةً، ثَبْتاً، كَثِيْرَ الحَدِيْثِ، حُجَّةً، فَقِيْهاً"[8]، فهذا الوصف المعرّف سيولّد افتراضاً مسبقاً لدى المتلقي بأنّه سيتحدث

(1) المصدر نفسه والصفحة
(2) البخلاء: 17 .
(3) يُنظر: الكتابة والتناسخ، مفهوم المؤلف في الثقافة العربية: 73
(4) يُنظر : الاتجاه التداولي والوسيط، نادية النجار : 95، والتداولية أصولها واتجاهاتها، جواد ختام : 84-85.
(5) يُنظر: أصول تحليل الخطاب، الشاوش: 1037/2 .
(6) يُنظر: الكتابة والتناسخ، مفهوم المؤلف في الثقافة العربية: 71
(7) البخلاء: 17 .
(8) سير أعلام النبلاء، الذهبي: 532/4.

سيتحدث عن الوعظ ويقتنع وينتفع من ذلك، أمّا إذا ذكرنا الحسين الخليع ، فسيولّد هذا الوصف المعرّف افتراضاً مسبقاً لدى المتلقي بشاعر ماجن مطبوع حسن الافتنان في جميع أنواع الشعر[1]، ولا يولّد لديه كلاماً عن الوعظ، فمن اللازم اختيار الاسم الذي ستبني عليه كلامك، لأنّه سيحدد موقف المتلقي إزاءه[2].

فما يحدد دلالة الخطاب العائمة الانتساب ويوجهها إلى اسم محدد ووصف معرّف، فكأنّ الخطاب إذا لم يحمل اسماً معيناً سيصير مصدر خطورة تختلط فيها الاتجاهات وتحتار فيها التأويلات لغياب النقطة المرجعية التي تضمن ذلك[3].

فالمتلقي أمام الخطاب يكون أمام عمليتين : الأولى : العناية بفنية الخطاب وأسلوبيته وتصنيفه، وهذا يساعد في حصر المداليل، والثانية : إيقاف حركة الخطاب والعمل على إرسائها في مرسى معروف من خلال إسنادها إلى اسم معين أو وصف معين، إذ يقود ذلك إلى معهودات ذهنية ومشتركات مسلّمة، فقيمة كل خطاب تستمد مصداقيتها من وجود هذه الأوصاف المعرّفة، وعندما تُحجب سوف يختل التأويل ويختل الاقتناع وتفقد مصداقيتها[4]، ويؤكد ذلك الجاحظ بقوله : **"وليس يتوفر أبداً حسنها إلّا بأن تعرف أهلها، وحتى تتصل بمستحقها وبمعادنها واللائقين بها، وفي قَطْع ما بينها وبين عناصرها ومعانيها سقوط نصف المُلحة وذهابُ شطر النادرة"**[5].

مما تقدم نستطيع القول: إنّ الجاحظ كان على دراية تامة ووعي عميق بآليات التلقي وكيفيات التأويل بما يضمن وصول المتلقي إلى القصد بسهولة ويسر أم بكدّ ذهني، وقد وجدنا ذلك في نوادره في لفائف كتاب البخلاء .

- **الافتراض المسبق بوصفه إجرائية للوصول إلى المداليل والقصود:**

في أية عملية تواصلية يخضع أطراف الخطاب _سواء أكانوا متكلمين أم متلقين_ لمعطيات لغوية وأخرى غير لغوية تحقق القصد والتواصل، ولا سيما المتكلم فمن الواجب عليه أن يصدر من مجموعة معطيات لغوية وتحكمات محيطية تتصل بالمعتقدات والأفكار والعواطف وما يتبناه من موجهات ثقافية عند تأليف الكلام أو النطق به. والإضمارات التداولية هي في صميم هذه الرؤية، وقد تعددت مصطلحات هذا المفهوم فمنهم من أطلق عليه الافتراض السابق[6] ومنهم من يطلق عليه الإضمارات التداولية[7]، وابتكر الدكتور عادل فاخوري مصطلحاً جديداً بناءً على معنى (الافتراض والمسبق) وهو "الاستسلاف"[8]، وقد أخذت الباحثة مصطلح الافتراض المسبق؛ لما له من خصوصية في مراعاة "مقامات الكلام وسياقاته من حيث مناسبته لها"[9]

وبسبب الإشكاليات التي اعترضت نظرية الافتراض المسبق يُفضل الأخذ بالتفسير التداولي الذي لا يعني الاستغناء عن التفسير المنطقي ولكن رؤية التفسير التداولي ترتكز على منطلقات أساسية، فقد يقتصر بعضها على بعض المفاهيم التداولية الأساسية وخاصة مفهومي الملاءمة[10] والمعرفة المشتركة[11]، فالتلفظ (س) يفترض تداولياً القضية (ص) يساوي بالتعريف (س) هي ملائمة إن كانت

---

(1) ينظر : وفيات الأعيان، ابن خلكان : 162/2.
(2) يُنظر: الكتابة والتناسخ، مفهوم المؤلف في الثقافة العربية: 73-74.
(3) يُنظر: الكتابة والتناسخ، مفهوم المؤلف في الثقافة العربية: 73-74.
(4) يُنظر: المصدر نفسه: 74-75.
(5) البخلاء: 17 .
(6) ينظر : آفاق جديدة ، محمود نحلة: 27
(7) ينظر: اللسان والميزان، طه عبد الرحمن: 113
(8) ينظر : محاضرات في فلسفة اللغة، عادل فاخوري : 46
(9) ينظر: اللسان والميزان: 113
(10) "سيحاول المستمع استخراج استلزامات "implicaciones" سياقية من السياق الأولي وسيوسع هذا السياق ما أمكنه ذلك بغرض بلوغ ملاءمة القول... وتنجم عن كل عملية توسيع إمكانيات جديدة لخلق استلزامات سياقية وفي نفس الوقت يمكن لها أن ترفع –دون أن يكون ذلك ضرورياً أو لا- من مجهود معالجة الأخبار مع ... احتمال ضياع الملاءمة" . مدخل إلى دراسة التداولية ، فرانثيسكو يوس راموس ، تر: يحيى حمداي: 129.
(11) "مفهوم المعرفة المشتركة غير كافٍ لتفسير طبيعة القضايا المشتركة بين المتكلمين في محادثاتهم في المقام الأوّل من الصعب تحديد أية أخبار يشترك فيها المتحاورون بالفعل ، وفي المقام الثاني تقود المعرفة المشتركة عادة إلى تكرارية ... لا

(ص) من المعارف المشتركة بين المتخاطبين[1] . فبحسب هذا المفهوم يتوقف مشكل التفسير التداولي على تفسير كون المتكلم قادراً على إيجاد سياق مناسب يسمح له بفهم المقول فهماً واضحاً، لأنّ الخلل في فهم السياق سيؤدي إلى سوء فهم لدى المتلقي[2].

فالافتراض المسبق مفهوم تداولي إجرائي يتعلق برصد جملة من الظواهر المتعلقة بجوانب ضمنية من قوانين الخطاب تحكمها ظروف الخطاب العامة، ففي كل تواصل لساني ينطلق الشركاء من معطيات وافتراضات متفق عليها بينهم ومن ثمّ تشكل هذه الافتراضات الخلفية التواصلية لتحقيق النجاح في عملية التواصل وهي محتواة ضمن السياقات والبنى التركيبية[3] وقد وصفت القولات المسبقة بـأنها "أفعال كلامية افتراضية actes duparole prisupositionels"، وصيغة الافتراض بحسب ستراوسن هي إنّ الحكم (أ) يفترض الحكم (ب) إن كان (ب) شرطاً مسبقاً لصدق أو كذب (أ) فالعلاقة بين (أ) و(ب) علاقة توقف، بمعنى أنّ وجود (ب) هو شرط السابق لكي يكون استعمالنا للجملة صادقاً أو كاذباً وهذه العلاقة يطلق عليها ستراوسن على غرار فريجة اسم (الافتراض presupposition)[4]

يمكن تعريف الافتراض المسبق بأنّه "قضية يُسلّم بصدقها كتحصيل حاصل عند النطق بالجملة. والوظيفة الأساسية للافتراض المسبق هي أن يعمل بوصفه شرطاً مسبقاً أو افتراضاً من نوع ما للاستعمال المناسب للجملة. مثلاً قول الجملة: جون نام لأنّه صارَ حادّ الطبع يفترض مسبقاً أنّ جون صار حادّ الطبع"[5]؛ أي هي "ما يفترض المتكلم صحته وصدقه قبل أن يصدر قولته، فهو استدلال فعلياتي شأنه شأن التلويح الحواري conversational implicature يولده المتكلم لا الجملة ... لكن الافتراض المسبق لا يعتمد على مبدأ تعاوني ولا قواعد حوارية وإنّما يعتمد على تراكيب لغوية ومفردات معجمية في توليد هذا النوع من الاستدلال تسمى بمولدات الافتراض المسبق presupposition triggers"[6]، فهو يعتمد على ما بحوزة المتكلمين في وقت ما من معارف واعتقادات مخزنة في الذاكرة، عليها تقوم أنشطتهم اللغوية والسياقوية، وهذه الإضمارات من غير أن تكون هي ذاتها من طبيعة لغوية تلعب دوراً مهماً في إنتاج الملفوظات وتأويلها[7]، والسؤال الأهم كيف نُفيد من الافتراض المسبق للانتقال من التأويلات المتسلسلة للملفوظات التي تشكل خطاباً معيناً إلى تأويل هذا الخطاب؟ وكيف ننتقل من القصود الإخبارية الموضعية إلى القصود الإخبارية الشاملة؟ يُجيبنا آن روبول وجاك موشلر عن ذلك بقولهما: إنّ مسار تأويل الخطابات ليس بمسار ذهني تدريجي، فهو يشغل مسارات استنتاجية ويرتكز على نظرية الافتراض المسبق وقدرة المتكلم على القيام بفرضيات مسبقة قابلة للمراجعة فيما يتعلق بالقصد الإخباري الشامل للمتكلم[8]، وتتجذر خصوصية الافتراض في "الطريقة التي يفرض بها على المخاطب إطاراً لاستمرار

نهاية لها وغير ذات جدوى من الفروض ... هذه العوائق المفهومية تمنع التحليل الصارم لعملية الفهم المتمحورة أساساً حول تشخيص قضية وحيدة يرغب المرسل في تبليغها عبر قوله" مدخل إلى دراسة التداولية : 131.

(1) ينظر : محاضرات في فلسفة اللغة : 98

(2) يُنظر: مدخل إلى دراسة التداولية ، راموس: 131-132 .

(3) يُنظر: في الجهاز المفاهيمي للدرس التداولي المعاصر ، مسعود صحراوي ضمن كتاب: التداوليات علم استعمال اللغة : 43، ويرى مسعود صحراوي أهمية الافتراض المسبق في التواصل والإبلاغ وخاصة في التعليميات؛ إذ ذهب شأواً بعيداً بأنّه تمّ الاعتراف بأهمية الإضمارات التداولية في تعليم الأطفال، فلا يمكن تعليمه معلومة جديدة إلّا بوجود أساس سابق يتم الانطلاق منه والاتكاء عليه، يُنظر: التداولية عن علماء العرب، مسعود صحراوي: 32.

(4)ينظر: لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب / حمو الحاج ذهبية: 124، بحث ضمن كتاب الملفوظية، جون سيرفوني، ترجمة ذهبية حمو الحاج: 106، والافتراض المسبق بين اللسانيات الحديثة والمباحث اللغوية في التراث العربي والإسلامي ، هشام إبراهيم عبد الله خليفة : 29-30.

(5) معجم أكسفورد للتداولية ، يان هوانغ، تر: هشام خليفة : 524.

(6) الافتراض المسبق بين اللسانيات الحديثة والمباحث اللغوية في التراث العربي والإسلامي ،: 27-28 .

(7) يُنظر: معجم تحليل الخطاب، باتريك شارودو، دومينيك منغنو، تر: عبد القادر المهيري، حمادي صمود : 454، ومحاضرات في فلسفة اللغة : 56 .

(8) يُنظر: لماذا يحتاج الخطاب إلى نظرية ذهنية ، آن روبول ، جاك موشلر، تر: ذهبية حمو الحاج، بحث ضمن كتاب تساؤلات التداولية وتحليل الخطاب ، ترجمة وتنسيق: حافظ إسماعيل علوي وآخرون: 165-166 ، والمصطلحات المفاتيح في اللسانيات، ماري نوال غاري بريور، تر: عبد القادر فهيم الشيباني : 85-86.

الخطاب، يجبره على الفعل، وكأن محتوى الافتراض حقيقة مؤكدة، ومسلّمة لا يمكن أن يعاد النظر فيها"[1]، ومن خصائص الافتراض المسبق[2]:

1- تناسب حقائق يفترض أنّ المرسل إليه على علم بها كأن تكون بديهيات مشتركة أو وقائع خاصة ترجع إلى معرفة سالفة، ومن ثمّ تكون بمثابة أرضية تتبني عليها المنطوقات وتضمن اتساق الخطاب في الحين الذي تتعهد فيه المنطوقات بتقديمه.

2- لا تتأثر بالنفي ولا بالاستفهام؛ فالافتراض يتطلب صدق المفترض عند صدق القضية التي تستدعي الافتراض وعند كذبها معاً، فالقضية يمكن أن تُنفى من دون أن يؤثر ذلك على الافتراض المسبق، فإذا قلت: "سيارتي جديدة"، ثم أردفت قائلاً : "سيارتي ليست جديدة" على الرغم من التناقض الحاصل فإنّ الافتراض المسبق هو "أنّي أمتلك سيارة" ما يزال قائماً في الحالتين[3].

3- لا يمكنها مبدئياً أن تُبطل ولا أن تستعمل كقاعدة لتسلسل المعلومات.

فبحسب هذه الخصوصية فأنّه ليس كل افتراض مبنياً على مكتسبات قبلية يتكون الخطاب في ضوئها، بل قد يمرر معلومات أولية لدى المتلقي إلّا أنّها تداعب آليات افتراضية موجودة مسبقاً لدى المتلقي، وهذا ما لمسناه في كتاب البخلاء للجاحظ.

– الأوصاف المعرفة وأثرها في توليد الافتراض المسبق في نوادر البخلاء :

يتولد من استعمال الوصف المعرّف الافتراض المسبق الوجودي existential presupposition[4]، presupposition[4]، إذ أنّه يركز على موضوع الإحالة في أسماء العلم أو ما يسمى في التراث العربي بـ(الألقاب) وعلاقة الاسم بالمسمى، ويعمل هذا النوع عن طريق افتراض مسبق لوجود مرجع محال عليه، مثل: ملكة بريطانيا، مؤلفات راسل، حديقة الحيوانات، عشيقة نابليون ، قاتل كنيدي، هتلر، الأميرة النائمة، الغواصة الزرقاء، حزب المحافظين وغيرها من الأسماء والألقاب والأوصاف المعرفة[5].

وقد وجدنا الوصف المعرّف بإجرائيته المولّدة للافتراض المسبق الوجودي في حديث لخالد بن يزيد وذلك في نادرة جميلة من نوادر الجاحظ فيقول: **"وهذا خالد بن يزيد مولى المهالبة، هو خالويه المكدي، وكان قد بلغ في البخل والتكدية وكثرة المال المبالغ الذي لم يبلغها أحد وكان ينزل في شقّ بني تميم فلم يعرفوه. فوقف عليه ذات يوم سائل وهو في مجلس من مجالسهم ، فأدخل يده في الكيس ليُخرج فلساً، وفُلوس البصرة كبار، فغلط بدرهم بغلي، فلم يفطن حتى وضعه في يد السائل، فلما فطِنَ استردّه وأعطاه الفلس. فقيل له: هذا لا نظنه يحِلّ، وهو بعدُ قبيح. قال: قبيحٌ عند مَن؟ إنّي لم أجمع هذا المال بعقولكم، فأفرّقه بعقولكم. ليس هذا من مساكين الدراهم، هذا من مساكين الفلوس. والله ما أعرفه إلّا بالفراسة. قالوا: وإنّك لتعرف المكدّين؟ قال: وكيف لا أعرفهم؟ وأنا كنت كاجار..."**[6].

أول ما يطالع القارئ لهذه النادرة عتبتها واستهلالها بعلم من الأعلام تعاهد المتكلم والقارئ على صفة من صفاته وهي (البخل) فتكون مساحة العهد بينهما حاضرة ابتداءً، ومن ثم يسوّر الجاحظ نادرته باكتناز تعريفي يلمح إلى قصد واضح واستجلاب لذلك العهد مستعيناً بما عرف من سيرة خالد بن يزيد الذي كان ظريفاً وأديباً "بلغ في البخل والتكدية وكثرة المال المبلغ الذي لم يبلغه أحد، وكان متكلماً بليغاً قاصّاً داهياً... وله أخبار حسان"[7]، وهذا الاكتناز يتمظهر بدفقة من التعريف كبيرة في الابتداء بالضمير (هو) ومعلوم ما للضمير من ثيمة تعريفية تتعالى حدّ أن يكون (أعرف المعارف) ليكون الاسم العلم إضافة إلى الحمولة التعريفية وبهذا يتصاعد التحشيد العهدي بينه وبين السامع والقارئ أكثر فأكثر إلى المكان الذي تفيض من قصديته بافتراض يوحي بوجود (ظاهرة الكدية) بوصفها مدار الحديث، ومن ثم وجود طبقات في مستوى هذه الظاهرة فلا غرابة أن يكون رأسهم (خالويه) وهذا ملح اجتماعي ينساب بين هذا التعاهد؛

(1) اللسانيات والتداولية، جون سيرفوني ، ضمن كتاب الملفوظية: 2
(2) يُنظر: معجم تحليل الخطاب: 455.
(3) يُنظر: آفاق جديدة : 29، ومحاضرات في فلسفة اللغة : 57، والافتراض المسبق: 89
(4) معجم أكسفورد للتداولية : 262.
(5) يُنظر: الافتراض المسبق: 50 .
(6) البخلاء: 56-57، ويُنظر: 162
(7) معجم الأدباء، ياقوت الحموي، تح: إحسان عباس : 1242/3

لأنّ الوخز المستمر بالتعريفات أو اجتماعها في لحظة تلق واحدة" تفترض مسبقاً وجود المرجع الذي تُحيل عليه بحيث يكون وجوده تحصيل حاصل مفروغاً منه"[1] وهذا المحال إليه إنّما يبعث إلى القول: إنّ التعاهد بين طرفي الخطاب استدعى هذه العتبة التي تتجاوز حدود الإخبار المحض إلى اكتناز دلاليّ أبعد وهو تهيئة ذهن المخاطب من خلال كشف المتعارف بينهما فكان هذا الكشف أول ما تجتمع عليه جهتي الخطاب فهو ارتكاز في دائرة المهمين الدلاليّ بينهما فكأنّه إلى تسالُم حقائق بينهما أقرب ومن ذلك تسالم أطراف الخطاب على أنّ (الكدية) إنّما هي من المسلّمات غير أنّ الإيغال فيها إنّما هو المنبوذ ومن ثم فكأنّ البخل مساوق للكدية. ثمّ ذكره لبني تميم الذي بفضله انعقدت ثيمة الخبر في ثنائية البخل والكرم المتمثلة في خالد وبني تميم الذي يفترض مسبقاً أنهم " جيران سيئون، يتعلمون من قصص خالد بن يزيد، لديهم مجالس يستقبلون بها الناس، ومجالسهم مفتوحة للسائل والقائل، ظهروا من بداية القصة مناهضين لبخل خالد، وبقوا حاضرين إلى نهايتها. يؤدون دور من ينكر الأفعال السيئة. يمكن أن يكونوا مثالا للكريم الذي يحب أن يسمع قصص البخلاء ومغامراتهم على سبيل التفكّه، أو مثالا للضمير الذي يؤنب الرجل عند بخله"[2]، ويستنتج المتلقي هذه المعلومات بالكفاءة الموسوعية التي يمتلكها والتي تسمح له باستخراج المعلومات المغيبة التي يشتمل عليها الخطاب، بوصف هذه الكفاءة ذاكرة رحبة[3]، فالمعلومة المسلمة ساعدت في بناء النص والوصول إلى مغزاه.

ومن النوادر أيضاً قوله: " **كان أبو سعيد المدائني إماماً في البخل عندنا في البصرة وكان من كبار المَعَيّنين ومياسيرهم، وكان شديد العقل، شديد العارضة، حاضر الحجة، بعيدَ الرؤية...**"[4].

لا يهم كثيراً _ ها هنا _ الاتكاء على الإخبار بدرجة البخل عند أبي سعيد بقدر انسياب رسائل أراد لها الجاحظ أن تطرق باب وعي المتلقي ومن ثم النفوذ فيه موهماً المتلقي بأنّه حرٌّ في استنتاجاته في قبول القصد أو رفضه عن طيب خاطر، لكنه في الواقع يتلاعب في حرية إرادته وسلطة قرارته إلى أن يعتقد بأنّه يختار هذا القصد من دون غيره باستقلال تام عن التأثيرات الخارجية، ولعل أجلى وجه لهذه الرسائل ما استبطنه النص من سياق تراتبية البخلاء في البصرة؛ لأن وجود إمام للبخل يفترض مسبقاً أن المجتمع البصري على دراية واسعة في التمييز بين طبقات البخلاء، فضلاً عن انتشار البخل في البصرة بالقدر الذي يجعل أبا سعيد إماماً فيه.

ثمة ملمح دلالي يفاد من استبطان نص موازٍ مساوق لنص الجاحظ يفاد من ذكر المعرفة (أبي سعيد) وهو أنّ العوام لا ينكر عليهم البخل؛ ذلك أنّ أبا سعيد على ما هو عليه من رجاحة العقل والتكلّم يقع منهم موقع الإمام من المؤتم فلمّا وقع البخل من رأس القوم فإنّ هذا يقتضي ويفترض حدوثه بشكل تصاعدي ابتداء من عامّة الناس وانتهاء برأسهم في الحكمة.

لا يقع هذا النظر من دون عقد صلة بين المتكلم(الجاحظ) مع متلقي نصّه الذين يعون جيداً أنّ ذكر أبي سعيد صراحة في النص يبعث على اختزال خطاب آخر مفترض ربما يفوق المذكور ويفهمه الطرفان. فلا يمكن بناء الحوار ولا بيان قصد المتكلم من دون وجود هذه الشخصية وفي البصرة تحديداً، لأنّه بنى على وجودها الكثير من القصود كونها من المعلومات المسلمة بينه وبين المخاطبين، منها صورة مجتمع يعيش حياة جديدة تضطرب فيه القيم فضلاً عن تمازج العرب بالفرس وخصوصية العلاقة بينهما التي تظهر التعصب القومي للفارسي[5]. فالافتراض المسبق هنا نوعان: النوع الأوّل وجودي وهو يشير إلى

(1) الافتراض المسبق: 85.
(2) معجم الشخصيات السردية في كتاب البخلاء البنية والوظيفة، روعة جاسم (رسالة ماجستير)، كلية الآداب، جامعة قطر، 2019 : 55
(3) المضمر، كاترين أوريكيوني، تر: ريتا خاطر:284-285.
(4) البخلاء : 152
(5) يُنظر: صورة الآخر في كتاب البخلاء للجاحظ ، د. عوض أحمد حسن العلقمي ، مجلة مركز جزيرة العرب للبحوث التربوية والإنسانية. المجلد (1) العدد (10) ، صفر/ 1443ه -2021 سبتمبر : 128 - 129

وجود المرجع المشار إليه وهو أبو سعيد المدائني، والآخر وصفي وهو اتصافه بإمامة البخل وهما موجودان لا ينتفيان بنفي الجملة[1].

ومن بخلاء الجاحظ نادرة البخل (ابن المرأة) التي تُدعى (أم فيلويه)، وذلك في قوله: **"كان في الحيّ مأتمٌ اجتمع فيه عجائز من عجائز الحي، فلما رأين أن أهل المأتم قد أقمن المناحة، اعتزلن وتحدّثن. فبينما هنّ في حديثهنّ، إذ ذكرن برّ الأبناء بالأمهات، وإنفاقهم عليهنّ. وذكرت كلّ واحدة منهنّ ما يوليها ابنها. فقالت واحدة منهنّ، وأم فيلويه ساكتة، وكانت امرأة صالحة، وابنها يظهر النسك يدين بالبخل، وله حانوت في مقبرة بني حصن يبيع فيها الأسقاط. قالت: فأقبلت على أم فيلويه، قالت لها: ما لك لا تحدّثين معنا عن ابنك كما يتحدّثن؟ وكيف صنع فيلويه فيما بينك وبينه؟ قالت: كان يجري عليّ في كل أضحى درهما. ثم قالت: وقد قطعه أيضا. فقالت لها المرأة: وما كان يجري عليك إلا درهما؟ قالت: ما كان يجري عليّ إلا ذاك، وربما أدخل أضحى في أضحى. فقالت: فقلت: يا أم فيلويه وكيف يدخل أضحى في أضحى؟ قد يقول الناس: إنّ فلانا أدخل شهرا في شهر، ويوما في يوم، وأمّا أضحى في أضحى، فهذا شيء لابنك لا يشركه فيه أحد"**[2].

لم يقف الجاحظ على ما قالته العجائز في شأن أبنائهن فكأن هذا الأمر مسكوت عنه متسالم عليه بين المتكلم والمتلقي وما يؤكد هذا الاتجاه ما يستبطنه ذكر المعرّف (أم فيلويه) فهذا ينبيء أنّ افتراضاً معيناً قد تعاهد عليه طرفا الخطاب مفاده أنّ الأولاد كانوا بررة بأمهاتهم ومن ثمّ فإن ذكر (أم فيلويه) يمثل انعطافاً في سرد متواصل أو كسراً لأفق توقع المتلقي من خلال إثارة دهشته بأنّ ابنها لا يمثل سائداً من برّ الابن بأمه، علاوة على أنّ البرّ يمثله الإنفاق وأنّ البخل وجه من وجوه العقوق بالأم.

إنّ هذا التحشيد من الإخبار المتواري خلف ذكر المعرف إنّما هو شراكة ذهنية تقاسمها المتكلم والمتلقي وتعاهدا عليها ولعل من صور هذا الافتراض أنّ الدين والبخل لا يجتمعان في قلب المسلم فإذا اجتمعا فإنّ أحدهما صورة شكلية لا يعول عليها، فذوّب الجاحظ كل ما يعترض سيرورة التلقي ويُحبط آصرة التواصل، كما أنّه حقق مبدأ التأدب الذي جاء به روبين ولاكوف فجاء بالمشيرات العَلمية لتقليل المسافة بينه وبين المتقبّل حتى يحقق الخطاب قصوده، ويجعل المتقبّل يؤمن بما يطرحه المتكلم فيؤسس معه علاقة تخاطبية[3]، وقد حوى النص الافتراض المسبق الوجودي الذي ولده اسم العلم (أم فيلويه) الذي يفترض مسبقاً وجود المرجع الذي تُحيل عليه بحيث يكون وجودها تحصيل الحاصل، وهو الخلفية المسلم بها التي انبنى عليها الخبر[4]، فابن المرأة الذي يُظهر النسك والتقشف ولا يدين إلّا بدين البخل، والإسلام بريء من تصرفه، وقد بيّن الجاحظ سلبيات البخيل الذي يتظاهر بالدين ويفضل المال على رضا الله ورضا أمّه[5]، وقد كاد أن يكون الخبر عاماً لولا حديث الأم عن ابنها فأصبحت خاصة وتولّد ذلك الافتراض المسبق الوجودي بوجود مراجع تشير إليه. فهو تسليم بوجود ابن لهذه المرأة بسبب الافتراض المسبق المتولد من الوصف المعرف (ابن) الذي انبنى عليه الخبر جميعه.

ونجد في نادرة (خالد القسري)، و(خالد المهزول) توليداً للافتراض المسبق الوجودي **"قال أبو عبيدة: بَلَغَ خالداً بن عبد الله القسريّ[6] أنّ الناس يرمونه بالبخل على الطعام. فتكلم يوما، فما زال يدخل كلاماً في كلام، حتى أدخل الاعتذار من ذلك في عرض كلامه. فكان مما احتجّ به، في شدة رؤية الإكيل عليه،**

(1) يُنظر: الافتراض المسبق: 89.
(2) البخلاء : 130
(3) يُنظر: اللسان والميزان : 223.
(4) يُنظر: الافتراض المسبق: 95.
(5) يُنظر: صورة الآخر في كتاب البخلاء للجاحظ: 130 .
(6) ولي العراقيين من جهة هشام بن عبد الملك وولي مكة سنة تسع وثمانين للهجرة ، يُنظر: وفيات الأعيان : 226/2-227.

وفي نفوره منه، أن قال: نظر خالد المهزول[1] في الجاهلية، يوماً، إلى ناس يأكلون، وإلى إبل تجترّ، فقال لأصحابه: أتروني إذا أكلت بمثل هذه العين التي أرى بها الناس والإبل؟ قالوا: نعم. فحلف بإلهه ألّا يأكل بقلاً، وأن مات هزلاً. فكان يغتذي اللبن، ويصيب من الشراب. فأضمره ذلك وأيبسه. فلما دق جسمه، واشتد هزاله، سمّي: المهزول. ثم قال خالد: هأنذا مبتلى بالمضغ، ومحمول على تحريك اللحيين، ومضطر الى مناسبة البهائم، ومحتمل ما في ذلك من السخف والعجز. ما بالي احتملته فيمن لي منه بدّ، ولي عنده مذهب. ليأكل كل امرئ في منزله، وفي موضع أمنه وأنسه، ودون ستره وبابه. هذا ما بلغنا عن خالد بن عبد الله القسري واحتجاجه"[2].

إنّ عبارة (**بَلَغَ خالداً بن عبد الله القسريّ أنّ الناس يرمونه بالبخل على الطعام**)، تفترض مسبقاً وجود المرجع المشار إليه (خالد القسري) حاضراً في عالم المتلقي، ولأنّه أراد أن يؤكد للمخاطب صدق الخبر ويزيل شكه فاستعمل مؤكداً واحداً، لأنّه في صدد الإقرار بصفة خالد القسري البخيل مما أدى إلى تسلسل الحوار فبدأ خالد القسري بعرض حجته المستندة على حجة مبنية على الواقع؛ وتستعمل هذه الحجج شبه المنطقية للربط بين أحكام قد تم التسليم بها وأحكام يسعى الخطاب إلى تأسيسها وتثبيتها وجعلها مقبولة، وجعل الأحكام المُسلّم بها وغير المُسلّم بها عناصر تنتمي إلى كل واحد يجمع بينها بحيث لا يمكن التسليم بأحدها من دون أن يُسلّم بالآخر وهذا الذي أضفى عليها صفة الاتصالية[3]. فاستعملها المتكلم بذكر الوصف المعرّف (خالد المهزول) الذي يحمل افتراضين مسبقين: الأوّل هو وجود شخصية "خالد بن نَضْلة بن الأَشتر بن جَحْوان بن فقعس شاعر جاهلية ولقبه المهزول سمي المهزول لأنه نظر إلى تيس يعتلف ولحيته تتحرك فقال: أأرضى بأن تتحرك لحيتي كما تتحرك لحية هذا التيس فترك كثيراً من الأكل قال أبو اليقظان: إنه ترك الأكل حتى مات" ، والثاني هو اتصاف خالد هذا بالهزل ولا ينتفي هذان الافتراضان بانتفاء الجمل، وهذا المعهود الذهني المفترض مسبقاً يقوم على شخصية خالد المهزول وربطه بواقع المتكلم، فافترض المتكلم (خالد القسري) أنّ المخاطب على علم بهذه القصة وافترض من المتلقي أن يتأمل فيربط بين ما يعرفه عن المهزول وبين فكرته ودفاعه عن نفسه برميه بالبخل، فتوسل بهذه الشخصية كي يبرر فعله ويزيل التهمة عن نفسه وأنّ ما يفعله حرص ومحافظة على الحياة .

ولنادرة أبي محمد الحزامي[4] وظيفة إحالية لتوليد القصود وإيقاف ترشح التأويلات، فيقول: **"واستسلف منه عليّ الأسواري مائة درهم، فجاءني وهو حزين منكسر. فقلت له: إنما يحزن من لا يجد بداً من إسلاف الصديق، مخافة ألا يرجع إليه ماله، ولا يعد ذلك هبة منة. أو رجل يخاف الشكيّة، فهو إن لم يسلف كرماً، أسلف خوفاً. وهذا باب الشهرة فيه هي قرّة عينك. وأنا واثق باعتزامك وتصميمك، وبقلّة المبالاة بتبخيل الناس لك، فما وجه انكسارك واغتمامك؟ قال: اللهم غفرا! ليس ذاك بي إنما بي أني قد كنت أظنّ أن أطماع الناس قد صارت بمعزل عني، وآيسة مني، وأني قد أحكمت هذا الباب وأتقنته، وأودعت قلوبهم اليأس، وقطعت أسباب الخواطر. فأراني واحدا منهم إن من أسباب إفلاس المرء طمع الناس فيه؛ لأنهم إذا طمعوا فيه، احتالوا له الحيل، ونصبوا له الشّرك، وإذا يئسوا منه فقد أمن... "**[5].

يولّد هذا الحوار الذي دار بين أبي محمد الحزامي والجاحظ افتراضين الأوّل هو افتراض وجودي مسبق بوجود هذه الشخصيات (الحزامي والأسواري)، والثاني هو وصف لهذه الشخصية فافترض الجاحظ مسبقاً أنّ الحزامي لم يحزن على شيء مما ذكره الجاحظ كونه مثال للبخيل الناصح، الذي يدعو دائماً إلى حفظ المال بالبخل وبيان فضل البخل على الكرم واستخلاص الحكمة من ذلك. والذي يدعم هذا الافتراض

---

(1)يُنظر: https://diwandb.com/poet/%D8%AE%D8%A7%D9%84%D8%AF-%D8%A8%D9%86-%D9%86%D8%B6%D9%84%D8%A9-%D8%A8%D9%86-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%B4%D8%AA%D8%B1.html .

(2) البخلاء : 78

(3) الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال (مصنف في الحجاج، الخطابة الجديدة) ، عبد الله صولة ، ضمن كتاب (أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم)، إشراف: حمادي صمود : 324 – 338، والنظريات اللسانية الكبرى من النحو المقارن إلى الذرائعية، ماري آن بافو، جورج ألبا سرفاتي، تر: محمد الراضي : 373.

(4) يقصد أبو محمد الحزامي عبد الله بن كاسب، يُنظر: البخلاء: 71.

(5) البخلاء: 73-74.

عوامل لغوية وأخرى سياقية، فاللغوية متمثلة باستعماله (إنما) فهذا العامل الحجاجي يوحي أنّ طرفي الخطاب مدركان لهذه المعاني المضمرة التي تختفي وراء تعبير الجاحظ وهي تنبيه من الجاحظ لأبي محمد الحزامي لشيء لم يقرّه ويعلمه ولكنه لا يجهله، فما تحصره إنّما هو إيقاف فيض المداليل غير المرغوب بها قصداً[1]، واختتم ذلك بمقولة الاستفهام لأن همه الوصول إلى تحصيل جوابه الذي لم يستقر عنده، فهو يريد أن يثبت فعلاً في ذهنه، فدخل إلى القاسم المشترك والمعهود الذهني بينه وبين المخاطب باستبعاد أمور نبّه المخاطب على أن لا يستعملها باستعمال (إنما) والحصول على الإجابة من المخاطب باستعمال استفهام، وقد أثر في المتكلم وحمله على الإجابة، أمّا إجابة المخاطب فكسرت توقعات المتكلم، فقد أجاب بالوصف والتفصيل، وليس بحرف جواب أو كلام مختصر، فاستعمل المتكلم العامل (إنّما) والفعل الإخباري الإنكاري المؤكد مرتين ليُخبره عن حقيقة يفترض أنّه لا يجهلها، وهي دفاعه عن البخل وشيوع صيته بتكريس حكمته بالدفاع عن البخل يجعل الناس حذرين من التعامل معه، وقد أكد قصده بأداة التوكيد (أنّ) وأداة التحقيق لنفي الشك والظن (قد) الداخلة على الفعل الناقص، وقد جاء النفي مقترناً بـ(إنما)، وقد احتاج إلى هذه الدالة اللسانية لأنّه أراد أن ينفي جزئية ما ذكره الجاحظ من أسباب الاغتمام واعتمد على المعهود الذهني المشترك بينه وبين المتلقي بتضافر العوامل اللسانية وغير اللسانية معاً.

ومن النوادر أيضاً قوله:: **"وقال خاقان بن صُبيح: دخلتُ على رجل من أهل خراسان ليلاً، وإذا هو قد أتانا بمِسرَجَةٍ فيها فَتِيلةٌ في غاية الدِّقّة، وإذا هو قد ألقى في دُهن المِسرجة شيئاً من مِلح، وقد علّق على عمود المنارة عُوداً بخيط، وقد حَزَّ فيه حتى صار فيه مكانٌ للرِّباط، فكان المصباح إذا كان ينطفئُ أشخَص رأسَ الفتيلة بذلك. قال، قلت له: ما بالُ العود مربوطاً؟ قال: هذا عودٌ تشرَّب الدّهن، فإن ضاع ولم يحفظ احتجنا إلى واحد عطشان، فإذا كان هذا دأبَنا ودأبّه ضاع من دُهننا في الشهر بقدر كفاية ليلة"**[2].

إنّ وجود علمين في النادرة لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يكون اعتباطياً بالقدر الذي يكون فيه الجاحظ مدركاً لوشيجة بين أحدهما والآخر فالافتراض السطحي افتراض وجوديّ يبعث على القول بوجود (خاقان بن صبيح)، و(خراسان) على الاختلاف بين جنسيهما إلّا أنّ المفاد من هذه العلاقة والوشيجة أنّ الأول على علم بصفات الثاني فذكره لأهل خراسان لا وظيفة له سوى غرس مزيد من القناعات في ذهن المتلقي أنّ الصفة الغالبة عليهم هي صفة البخل إذ لو حذف العلم الثاني(خراسان) واكتفي بالإشارة إلى (رجل) منكّر لكان غياب ذكر صفات أهل خراسان أول الرسائل حذفاً، فهذا التساوق بين العلم (خراسان) وبين معرفة العلم الأول (خاقان بن صبيح) بصفات أهل خراسان افتراض يلمح من وجودهما معاً.

فإنّ وجود الوصف المعرّف (أهل خراسان)، يعدّ حداً فردياً شخصياً ويشير إلى شركاء معينين مفترضين مسبقاً ومعلومين في السياق من قبل المستمعين[3] فيتبادر إلى ذهن المستمع في ذلك العصر الغاية من ذكر هذا الوصف المعرّف والغاية من ذكر الوصف الموجود في القصة ليصوّر بخل أهل خراسان وانتشار هذه الصفة المذمومة بينهم ولا سبيل لهذا التذكير إلّا باستعمال أكبر قدر من العبارات التي هي مما يحتاجه المُحاور[4]، مع الحفاظ على مبدأ التعاون في أنّ المخاطب يستطيع الاستدلال على قصدية المتكلم، فيفترض مسبقاً أنّ الأخبار الزائدة وانتهاك قاعدة الكم لها قيمة إخبارية عالية ، ولم تكن حشواً في الكلام[5]. فأرادا أن يوضحا فكرة البخل والدفاع عنها بصورة تميل إلى التهكم من قبل الجاحظ، لأنّ الخطاب كان بين شخصين لهما عادات وتقاليد مختلفة، ولأنّ صفة البخل صفة مذمومة فلا يمكن الدفاع عنها بمؤشرات صريحة، لذا لجأ كل منهما إلى التلويح كوسيلة لإيصال قصودهما؛ لأنّ التلويح يتضمن تأويلات واستنتاجات عديدة وإن كان يقصد من هذا الاطناب تصوير أمّة تعيش في أمة الجاحظ

(1) الخطاب اللساني العربي، مستويات البنية الإضمارية وإشكالاتها الأساسية، بنعيسى أزاييط: 407/2.
(2) البخلاء : 30 . ويُنظر: 31 .
(3) يُنظر: الافتراض المسبق: 86.
(4) يُنظر: مفتاح العلوم، السكاكي : 277.
(5) يُنظر: مدخل إلى دراسة التداولية، فرانثيسكو يوس راموس : 99 .

تمثلت في فئة خراسان وأخذت تؤثر في المجتمع بعاداتها وتقاليدها التي لم يألفها العربي وغدت خطراً على أخلاقياته، فهم يحتجون للبخل ويزينونه ويذمون الكرم الذي هو صفة من صفات العربي[1].

ومن النوادر الجميلة نادرة العراقي والمروزي وهي تأسست على نادرة الضيافة ، إذ ينتحل فيها البخيل صفة الكرم ويتحايل على ضيفه، فيقول: **"ومن أعاجيب أهل مَرو ما سَمِعناه من مَشْيَختنا على وجه الدهر، وذلك أنّ رجلاً من أهل مَرْوَ كان لا يزال يحجّ ويتَّجر، وينزل على رجل من أهل العراق فيُكرِمهُ، ويكفيه مؤونته، ثم كان كثيراً ما يقول لذلك العراقيّ: ليتَ أنّي قد رأيتك بمرو، حتى أُكافِئك لقديم إحسانك، وما تجدّدُ لي من البرّ في كل قَدمةٍ، فأما هَهُنا فقد أغناك الله عنّي... فعرضت لذلك العراقي بعد دَهْرٍ طويل حاجةٌ في تلك الناحية، فكان مما هوّن عليه مُكابَدة السفر وَوَحشَة الاغتراب، مكان المرْوَزيّ هناك، فلما قَدِمَ ومضى نحوه في ثياب سفره وفي عِمامته وقَلَنْسُوته وكسائِه، ليُحطّ رحله عنده... فلما وجده قاعداً في أصحابه، أكبّ عليه وعانقه فلم يرَه أثبته، ولا سأل به سؤال من رآه قطّ. قال العراقي في نفسه: لعلّ إنكاره إيّاي لمكان القناع، فرمَى بقناعه، وابتدأ مساءلته، فكان له أنكر، فقال: لعلّه يكون إنّما أُتِيَ من قِبَل العمامة، فنزعها ثمّ انتسب، وجدد مُساءلته، فوجده أشدّ ما كان إنكاراً، قال: فلعلّه إنّما أُتِيَ من قِبَل القلنسوة . وعَلِم المروزي أنّه لم يبقَ شيء يتعلق به المتغافلُ والمتجاهلُ، فقال: لو خرجتَ من جِلدك لم أعرفك"**[2].

ثمة جمع بين أعلام وصفات عدّة منها(العراقي ، مرو، المروزي،) وهي دوالّ على موجودات فافتراض وجودها مصادر مُذعَن له فيكون الافتراض الوجودي متحصلاً أول وهلة، غير أنّ إرادة الموازنة والمقارنة هي باعث السرد ها هنا؛ لأنّ الجاحظ أراد الموازنة بين هذه الصفات(العراقي – المروزي)، و(العراق- مرو) فهذه الدوالّ تبعث على المقارنة؛ لأنّ الافتراض فيه متحقق من خلال الموازنة فلا يمكن تخيل (مرو) من دون استحضار كرم(العراق)، ولا يمكن استحضار بخل (المروزي) من دون التوكيد على كرم (العراقي) فهذه الثنائيات متحصلة من الموازنة يدعمها افتراض مسبق بكرم العراق والعراقيين، وبخل المروزي وأهل مرو. وهو ما تفصحه التحكمات المحيطية للنص بما في ذلك روح العصر التي تغلغل فيه الأجنبي والفارسي في العرب فزاوج بين ثنائيتي (الكرم والبخل) وهي قضية يكاد يثبتها في الكتاب أجمعه، فإيراده لهذه القصص إنّما هو ليحط من قيمة أهل مرو ويظهر صفة التحايل لديهم وتظاهرهم بالشكر والامتنان إلى جانب صفة البخل[3]، ومن جانب آخر نرى الحوار القائم بين المروزي والعربي الذي يحاول مراراً أن يعرفه المروزي باستعمال قرائن مقامية ومقالية لأنّ القدرة الاستنتاجية للمخاطب لا تكفي على إيضاح مراد المتكلم ما لم تقترن بقرائن مقامية توضح أنّ المتكلم لم يقصد المؤشرات السطحية للقول فعلاً ففي قوله: (لو خرجت من جلدك لم أعرفك) استعملها استعمالاً كنائياً، فعندما تقرع هذه الصورة الكنائية ذهن المتلقي سيبحث عن دلالة تلازمية بين المدلول الظاهر والعميق، فلم يرد المروزي أن يقول له إنّه عرفه ويتظاهر بعدم معرفته حتى لا يقدم له المساعدة، ولم يرد أن يقول له إنّه جحد مساعدته له وإنّه كان يتصنع الشكر والامتنان، ولم يرد أن يقول له إنّه منعدم المروءة والاستحياء وإنّ البخل والخلق القبيح قد تغلغل فيه، لأنّه سيظهره بأبشع صورة، فعمد إلى الصورة الكنائية لتُعطي هذا المعنى معتمداً على معهود ذهني مشترك إلى شيوع هذه المقولة، فتوفرت شروط الموفقية داخل هذا الخطاب لا بما تحمله من قيمة الصدق أو الكذب، فهو لم يقصد الخروج الفعلي من الجلد، ولم يشر إلى هذا المعنى لسانياً، بل تمّ تأويله من معطيات السياق والمعرفة المشتركة بين المتحاورين التي تفترض أنّ المتحاورين يمتلكون كفاءة موسوعية يؤولون بها الحوارات[4].

ومن النوادر قول الجاحظ: **" حدّثني مُوَيس بن عمران قال: قال رجلٌ منهم لصاحبه، وكانا إمّا متزاملين، وإما مترافقين: لمَ لا نتطاعَم؟ فإنّ يد الله مع الجماعة، وفي الاجتماع بركة، وما زالوا**

(1) يُنظر: صورة الآخر في كتاب البخلاء للجاحظ : 135.
(2) البخلاء : 33.
(3) في كل تواصل لساني ينطلق الشركاء من معطيات وافتراضات معترف بها ومتفق عليها بينهم تشكل هذه الافتراضات الخلفية التواصلية الضرورية لتحقيق النجاح في عملية التواصل، يُنظر: التداولية عند العرب : 30-31، و المعنى وظلال المعنى ، محمد محمد يونس : 153-154 ، والمحاورة، مقاربة تداولية، حسن بدوح: 159.
(4) يُنظر : المضمر: 285.

يقولون: طعامُ الاثنين يكفي الثلاثة، وطعامُ الثلاثة يكفي الأربعة. فقال له صاحبه: لولا أعلم أنّك آكلُ مني لأدخلتُ لكَ هذا الكلام في باب النصيحة. فلما كان الغدُ، أعاد عليه القولَ، قال له: يا عبدَ الله معك رغيفٌ ومعي رغيفٌ، ولولا أنّك تريد الشرّ ما كان حرصك على مُؤاكلتي، تريد الحديث والمؤانسة؟ اجعل الطبق واحداً ، ويكون رغيف كل منا قُدام صاحبه، وما أشكُّ أنّك إذا أكلتَ رغيفك ونصفَ رغيفي ستجدُه مُباركاً، إنّما كان ينبغي أن أكون أجدُه أنا لا أنت"[1].

شكّل الوصف المعرّف المتمثل باسم العلم (مويس بن عمران) نقطة الانطلاق والمركز الأساس لتوليد الافتراض المسبق الوجودي وذلك لوجود المرجع المشار إليه، فضلاً عن افتراض مسبق وصفي استنتجه المتلقي هو وصفه بالبخل على حدّ قول الجاحظ في كتاب الحيوان إنّه "كان هو والكذب لا يأخذان في طريق، ولم يكن عليه في الصدق مؤونة، لإيثاره له حتى كان يستوي عنده ما يضرّ وما لا يضر"[2]. فضلاً عن أنّه "متكلم معاصر للجاحظ، وكان شديد البخل حريصاً على الصدق، وكان من أصحاب النظّام"[3]. وهو معتزلي واسع العلم في الكلام[4]، فربط بين صفته المعرّفة هذه وبين ما هو مخزون في ذهن المتلقي، وقد كان أسلوب الفنقلة وسيلة لتحقيق إثارة المتلقي للتفاعل مع المتكلم، فضلاً عن معتزليته، فالفكر المعتزلي يميل إلى الانطواء والعزلة والابتعاد عن الحياة الصاخبة، فيعتمد المتكلم على الانزواء والانفراد في حياته متخذاً رفيقاً يجادله ويتخذ منه خصماً أحياناً أو يتخيل اثنين يتجادلان معاً[5]، فقد كانت لطريقة افتراض الأسئلة والأجوبة أعظم الأثر في التأثير في القارئ وتشويقه إلى معرفة بعض الفوائد وتثبيتها في ذهنه؛ كما ظهرت أهميتها أيضاً في إتاحة الفرصة للمتكلم لدخول أبواب كثيرة وطرح قضايا متنوعة خاضعة للنقاش وإبداء الرأي، فأسئلة مويس ما هي ((إلّا عرقول أو مشكلة تتطلب حلاً وحلها إنما يكمن في الإجابة عنها ، إجابة يُفهم منها ضمنياً أنّ ذلك العرقول أو تلك المشكلة موجودة بحيث لا يكون المتلقي في نهاية المطاف وهو يقرأ الحجج الصريحة أو الأجوبة في خطاب ما إلّا طارح أسئلة يستنتجها ضمنياً من خلال تلك الأجوبة المقدمة في النص مستعيناً بالمعطيات التي يوفرها المقام))[6]، فقد اتخذ منطق الحجاج الجدلي القائم على الافتراض حيث افترض أسئلة وأجوبة على مدار النص، وبذلك تقوم كل الأقوال ((في العمليات التخاطبية على مبدأ الافتراض المؤسس على الجواب والسؤال المفترضين وانطلاقاً من مجموعة من المقومات التي تحكم العمليات التواصلية كالسياق والمعلومات الموسوعية والتجربة الذاتية والقدرات التفكيرية والتأويلية والتخييلية ، إذ يصبح كل قول خبراً وإنشاءً وسؤالاً وتعجباً وأمراً ونهياً افتراضاً لشيء ما داخل سياق تخاطبي معين ؛ أي جواباً عن سؤال سابق وسؤالاً لجواب لاحق))[7].

وترجع أهمية التساؤل بوصفها كيفية إقناعية إلى دفعها المتلقي في المشاركة في التأثير الكلامي ؛ إذ لمّا كان الكلام إثارة للسؤال لزم أن يتولد عن ذلك نقاش يولّد بأثره حجاجاً، ومن ثم تشكل المساءلة وسيلة مهمة غايتها الإثارة تدفع المتقبل إلى تبنّي موقف واتخاذ قرار إزاء القضية المعروضة على هيأة سؤال ، وهذا الموقف يحدده المتكلم بقرائن ومواد إخبارية تحضر في سياق الكلام تقود عملية الاستنتاج المتصل بثنائية السؤال والجواب[8] . إذ بدأ المتكلم كلامه بسؤال (لمَ لا نتطاعم؟ ...) يعرض في الواقع إشكالاً مهمّاً بخل مويس بن عمران ودعوته للتحايل والحصول على أكبر قدر ممكن من الطعام ، وهذا الإشكال

---

(1) البخلاء: 29-30.
(2) الحيوان: 249/5.
(3) البصائر والذخائر، التوحيدي، تح: وداد القاضي: 123/9.
(4) يُنظر: البخلاء : 29 (هامش المحقق) .
(5) يُنظر: الفنقلة عند الزمخشري بين الدلالة والحجاج ، عادل راضي جابر الزركاني ، مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية ، ع:19 ، السنة السابعة ، 2015: 14، وأسلوب (الفنقُلة) عند الزمخشري في تفسيره؛ وبيان خصائصه وفوائده الدكتور/ عبد العزيز جودي، مركز تفسير الدراسات القرآنية : 4-8.
(6) الحجاج في القرآن، عبد الله صولة: 39 .
(7) عندما نتواصل نغير ، مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج ، عبد السلام عشير: 196.
(8) ينظر : البلاغة والحجاج من خلال نظرية المساءلة لميشال ماير محمد علي القارصي (بحث ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم) : 394، وينظر : الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، سامية الدريدي: 141.

يدفع المتلقي إلى إعلان موقفٍ تحدده قرائن النص من أسماء وأفعال نحو : (نتطاعم، يد الله مع الجماعة، طعام الاثنين يكفي ثلاثة، لولا أعلم أنّك آكل مني، معك رغيف ومعي رغيف، لولا أنّك تريد الشر، حرصك على مؤاكلتي، اجعل الطبق واحداً، قدام صاحبه، إنما كان ينبغي أن أجده أنا لا أنت...) فإذا بالموقف اعتراف من المتكلم ببخله وحرصه وعدم تفريطه بطعامه وحرصه في الحصول على المزيد، فالنص قائم على السؤال وهدفه الإقناعي يرتكز في ما يضمره هذا السؤال من افتراضات ضمنية لغرض إقناع المستمع أو خداعه لكي يقبل وجهة نظر المتكلم[1]. فهو يتكلم عن حديث بين اثنين يعرض أحدهما التطاعم مع الآخر وكل منهم يُلقي حجته لكن الافتراض الأعمق الذي يقف خلف هذه الأسئلة أن تكون الاعتقادات مكشوفة حتى يسهل على الناظر إبراز ما يتعلق بها ويستتبعها فيما بعد.

ومن النوادر قول الجاحظ: "وأبو عبد الله هذا كان من أطيبِ الخَلْقِ وأملحهم بُخلاً وأشدَّهم رياء. أدخل على ذي اليمينين طاهر بن الحسين[2] وقد كان يعرفُه بخُراسانٍ بسببِ الكلام، فقال له: منذُ كم أنتَ أنتَ مقيمٌ بالعراقِ يا أبا عبد الله؟ فقال: أنا بالعراقِ منذُ عشرين سنةً، وأنا أصومُ الدهرَ منذُ أربعين سنة، قال: فضحِكَ طاهرٌ، وقال: سألناك يا أبا عبد الله عن مسألة، فأجبتنا عن مسألتين"[3].

إنّ إيراد هذه القصة قد ولّد افتراضين مسبقين أحدهما وجودي وذلك بذكر اسم العلم (أبو عبد الله)، وذكر (طاهر بن الحسين الملقب بذي اليمينين)؛ إذ تُشير أسماء الأعلام والأوصاف المعرفة هذه إلى مراجع موجودة في الواقع، وذلك بلحاظ التراجم، والآخر وصفي الذي يفترض وجود أبي عبد الله بصفته التي ذكرها الجاحظ: (بخيل ومراءٍ)، وذي اليمينين بصفته الكريمة ذات الجود والكرم، بالاستناد إلى أرضية مسلمة بين المتخاطبين، وقد ساعدت هذه المراجع في الكشف عن معلومات مشتركة بين الأشخاص المتحاورين والمعهودات الذهنية المسلمة بينهم، ففي حوار أبي عبد الله مع طاهر بن الحسين تعد قاعدة الملاءمة أداة يستعملها المحاور لتأويل أقوال المتكلم استناداً لمستلزمات السياق ولمعرفته المسبقة ، فيقوم بتأويل الأقوال على وفق ذلك لأنّه في ظاهرها لا علاقة لها مع ما قيل من قبل التبادل التخاطبي[4]، ويرى الدكتور عادل فاخوري أنّه من الصعب إعطاء جواب غير ملائم بالنسبة إلى سياق ما[5]، وهذا الذي حصل في الواقعة اللغوية هذه، إذ إنّ إجابة المتكلم بقوله : (وأنا أصوم الدهر منذ أربعين سنة) لا علاقة لها بسؤال السائل : (منذ كم أنت مقيمٌ في العراق يا أبا عبد الله؟) هو بمثابة خرق لقاعدة المناسبة الغرايسية، ففي الظروف الاعتيادية كان ينبغي على أبي عبد الله أن يُجيب (منذ عشرين سنة) ولكنه أجاب فضلاً عن ذلك (وأنا أصوم الدهر منذ أربعين سنة) لأنّ للمُجيب غاية مستنداً إلى المعلومات المشتركة بينه وبين المخاطب وهي أنّ المخاطب جواد ممدح عندما نزل إلى خراسان طلب محدثاً له وأغدق عليه بالعطايا[6] وأبو عبد الله بخيل مراءٍ يودّ أن يستحصل من ذي اليمينين ما يستطيع استحصاله واستغلاله فأراد أن يطيل الكلام معه ويفتح معه أحاديث عسى ولعل أن يتخذه محدثاً له ويستحلي حديثه وهذه افتراضات لا تكشف عنها المؤشرات السطحية للقصة، بل كشفت عنها المعلومات المشتركة بين الأشخاص والمعهودات الذهنية.

أما بعد :

وجد البحث في كتاب البخلاء نظراً عميقاً لصاحبه في خدمة موضوع البحث، وذلك في اختياره النوادر التي تؤثر في الفهم والإبلاغ، مع إبداعه في حكاية المواقف وقصّها، فنصوصه تُحيل إلى وظائف كثيرة منها اجتماعية اقتصادية سياسية، وقد تضمنت أساليب بلاغية وفنية إبداعية، وعالجت قضايا العرب والأجانب بما يلائم روح العصر آنذاك، فضلاً عن احتوائها لملامح الخطاب ومراعاة المتلقي والعناية به

(1) يُنظر: الافتراض المسبق: 58 .
(2) طَاهِرُ بنُ الحُسَيْنِ بن مُصْعَبِ بنِ رُزَيْقٍ الخُزَاعِيُّ الأَمِيْرُ، مُقَدَّمُ الجُيُوْشِ، ذُوْ اليَمِيْنَيْنِ ، أَبُو طَلْحَةَ الخُزَاعِيُّ، القَائِمُ بِنَصْرِ بِنَصْرِ خِلاَفَةِ المَأْمُوْنِ، فَإِنَّهُ نَدَبَهُ لِحَرْبِ أَخِيْهِ الأَمِيْنِ، فَسَارَ فِي جَيْشٍ لَجِبٍ، وَحَاصَرَ الأَمِيْنَ، فَظَفِرَ بِهِ، وَقَتَلَهُ صَبْراً، فَمُقِتَ لِتَسَرُّعِهِ فِي قَتْلِهِ وَكَانَ شَهْماً، مَهِيْباً، دَاهِيَةً، جَوَاداً، مُمَدَّحاً ، يُنظر: سير أعلام النبلاء: 108/10 .
(3) البخلاء: 32-33.
(4) يُنظر: مدخل إلى دراسة التداولية: 93.
(5) يُنظر: محاضرات في فلسفة اللغة : 28 .
(6) يُنظر: سير أعلام النبلاء : 493/10.

ليوصل قصوده ومراديته . ووجد البحث أهمية وجود مرجع محال إليه يُبنى عليه الكلام ويوصل القصود إلى المتلقي وأثر إحالية هذا المرجع على تأويلات الخطاب وإغلاق باب ترشّح الدلالات وانفتاحها على أكثر من مدلول، فهي مظنّة المقاصد بوصفها رموزاً حاملة للمغزى حتى إنّ الجاحظ نفسه أقرّ بذلك ورأى أنّ ذكر هذه الإحالات من بديهيات الخطاب ومن دونها يفقد الخطاب حيويته ويضيع جزء كبير من هدفه وغايته، فحاجة التكلّم هي التي تفرض الاستعمال.

تجلّت الطبقية الاجتماعية بوضوح في كتاب البخلاء، وألقت بظلالها على المقاصد، وتحيّز الجاحظ بدا واضحاً في إيراده للنصوص والحطّ من قيمة بعض الأشخاص ورفع شأن الآخر، فهذا التغاير الطبقي كان له الأثر في إيراد النصوص.

المصادر والمراجع :

الكتب

- ❖ آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، محمود أحمد نحلة ، دار المعرفة الجامعية ، 2002.
- ❖ الاتجاه التداولي والوسيط في الدرس اللغوي، د. نادية رمضان النجار، ط1، مؤسسة حورس الدولية ، الاسكندرية ، 2013.
- ❖ أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية ، تأسيس نحو النص، محمد الشاوش، ط1، طبعة مشتركة : كلية الآداب بمنوبة ، والمؤسسة العربية للنشر والتوزيع –تونس، 2001.
- ❖ الافتراض المسبق بين اللسانيات الحديثة والمباحث اللغوية في التراث العربي والإسلامي ، هشام إبراهيم عبد الله خليفة، ط1، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان ، سبتمبر، 2021.
- ❖ أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ، إشراف : حمادي صمّود ، جامعة الآداب والعلوم الإنسانية ، تونس ، كلية الآداب ، منوبة .
- ❖ البخلاء ، للجاحظ، تحقيق وتعليق: غَريد الشيخ ، ط1، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت –لبنان، 2001-1422.
- ❖ البصائر والذخائر ، لأبي حيان التوحيدي (ت414ه) ، تحقيق وداد القاضي ، ط5، دار صادر – بيروت- لبنان، 1431ه-2010م .
- ❖ التداوليات علم استعمال اللغة، إعداد وتقديم : حافظ إسماعيلي عليوي، ط1، عالم الكتب الحديث، إربد – الأردن ، 1432-2011.
- ❖ التداولية أصولها واتجاهاتها ، جواد ختام ، ط1، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، 2016.
- ❖ التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي ، مسعود صحراوي ، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، تموز يوليو 2005.
- ❖ تساؤلات التداولية وتحليل الخطاب، دراسات وبحوث مختارة ، تر: حافظ إسماعيلي علوي، وذهبية حمو الحاج ، ومنتصر أمين عبد الرحيم ، ط1، دار كنوز المعرفة ، عمان، 2016.
- ❖ الحجاج في الشعر بنيته وأساليبه، سامية الدريدي ، ط2، إربد ، عالم الكتب الحديث، 2007.
- ❖ الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ، عبد الله صولة ، ط2 ، دار الفارابي ، بيروت – لبنان ، 2007.
- ❖ الحيوان، الجاحظ، ط2، دار الكتب العلمية ، بيروت، 1424ه.
- ❖ الخطاب اللساني العربي ، هندسة التواصل الإضماري من التجريد إلى التوليد ، ج1 : طبيعة المعنى المضمر ، وج2: مستويات البنية الإضمارية وإشكالاتها الأساسية ، ج3: توليد المعاني المضمرة وفق أنحائها الملائمة ، بنعيسى أزابيط ، ط1، عالم الكتب الحديث ، إربد – الأردن ، 2012 .
- ❖ سير أعلام النبلاء ، شمس الدين الذهبي (1374ه) ، مؤسسة الرسالة .
- ❖ عندما نتواصل نُغيّر " مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج" : د. عبد السلام عشير ، أفريقيا الشرق ، د.ط، 2006م .
- ❖ الكتابة والتناسخ، مفهوم المؤلف في الثقافة العربية، عبد الفتاح كيليطو، تر: عبد السلام بنعبد العالي، ط1، دار التنوير للطباعة والنشر ، بيروت –لبنان، 1985.

❖ اللسان والميزان ، أو التكوثر العقلي ، طه عبد الرحمن ، ط3، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ، المغرب، 2012.
❖ محاضرات في فلسفة اللغة ، عادل فاخوري، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت –لبنان، 2013.
❖ المحاورة ، مقاربة تداولية ، د. حسن بدوح ، ط1، عالم الكتب الحديث ، إربد –الأردن، 2012.
❖ مدخل إلى دراسة التداولية مبدأ التعاون ونظرية الملاءمة والتأويل، فرانثيسكو يوس راموس ، تر: يحيى حمداي، ط1، دار نيبور للطباعة والنشر والتوزيع، الديوانية ، 2014.
❖ المصطلحات المفاتيح في اللسانيات، ماري نوال غاري بريور، ترجمة: عبد القادر فهيم الشيباني، ط1، سيدي بلعباس، الجزائر، 2007.

❖ المضمر، كاترين أوريكيوني، تر: ريتا خاطر، مراجعة جوزيف شريم، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2008.
❖ معجم أكسفورد للتداولية، يان هوانغ، تر: هشام إبراهيم عبد الله خليفة، ط1، دار الكتب الجديدة المتحدة، 2020.
❖ معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ، ياقوت الحموي ، تح : إحسان عباس، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت –لبنان، 1993.
❖ معجم تحليل الخطاب ، باتريك شارودو ، دومينيك منغنو ، تر: عبد القادر المهيري – حمادي صمود ، المركز الوطني للترجمة ، تونس ، 2008 .
❖ المعنى وظلال المعنى أنظمة الدلالة في العربية ، محمد محمد يونس، ط2، دار المدار الإسلامي ، 2007 .
❖ مفتاح العلوم ، السكاكي (ت626ه) ، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه : نعيم زرزور ، ط2، دار الكتب العلمية ، بيروت –لبنان ، 1407ه-1987.
❖ الملفوظية ، جان سيرفوني ، تر: سعيد مقداد، اتحاد الكتاب العرب ، 1998.
❖ النظريات اللسانية الكبرى من النحو المقارن إلى الذرائعية ، ماري آن بافو ، جورج آليا سرفاتي ، تر: محمد الراضي ، ط1، المنظمة العربية للترجمة ، توزيع : مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت -2012.
❖ وفيات الأعيان ، وأنباء أبناء الزمان ، ابن خلكان (ت681ه) ، تح : إحسان عباس، دار صادر –بيروت

البحوث المنشورة في الدوريات وشبكة الانترنت

❖ أسلوب (الفنقُلة) عند الزمخشري في تفسيره؛ وبيان خصائصه وفوائده الدكتور/ عبد العزيز جودي، مركز تفسير الدراسات القرآنية .
❖ بنائيات البخل في نوادر البخلاء ، فدوى مالطي دوجلاس، مجلة فصول، ع3، 1993
❖ التصوير والحجاج، نحو فهم تاريخي لبلاغة نثر الجاحظ ، محمد مشبال، مجلة عالم الفكر ، ع3، مج40.
❖ صورة الآخر في كتاب البخلاء للجاحظ ، د. عوض أحمد حسن العلقمي ، مجلة مركز جزيرة العرب للبحوث التربوية والإنسانية. المجلد (1) العدد (10) ، صفر/ 1443ه -2021 سبتمبر .
❖ الفنقلة عند الزمخشري بين الدلالة والحجاج ، عادل راضي جابر الزركاني ، مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية ، ع:19 ، السنة السابعة ، 2015
❖ فنية القصة في كتاب البخلاء للجاحظ ، ضياء الصديقي، مجلة عالم الفكر، مج20، ع4، 1990.
❖ https://diwandb.com/poet/%D8%AE%D8%A7%D9%84%D8%AF-%D8%A8%D9%86-%D9%86%D8%B6%D9%84%D8%A9-%D8%A8%D9%86-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%B4%D8%AA%D8%B1.html .

الرسائل والأطاريح الجامعية

❖ معجم الشخصيات السردية في كتاب البخلاء (البنية والوظيفة)، روعة جاسم الحمود الغرسي، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الآداب والعلوم في جامعة قطر، 2019.